

# أسلوب الوعظ والإرشاد

## الوعظ والإرشاد:

الدعوة إلى الله تعالى واجب كل مسلم ومسلمة من أهل القدرة عليها، وليست واجب العلماء من المسلمين وحدهم؛ لأن الآية الكريمة التي أوجبت الدعوة لم تخص بها العلماء ولا الرجال، وإنما أطلقت هذا الوجد على كل من اتبع محمداً ﷺ، قال الله تعالى على لسان نبيه محمد: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن إتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾<sup>(١)</sup>.

والبصيرة هنا هي أن يكون الدعاة إلى الله على علم وبصر بما يدعون إليه، مهما كان هذا الذي يدعون إليه يسيراً أو بسيطاً، وعلى سبيل المثال: فإن من علم من الإسلام أحكام الطهارة أو الصلاة أو نحوها كان عليه أن يدعو الناس مما لا يعرفون هذه الأحكام إلى معرفتها والعمل وفق شرع الله فيها<sup>(٢)</sup>.

إن معظم مشكلات العالم الإسلامي تأخذ طريقها إلى الحل لو أن المسلمين فقهوا الدعوة إلى الله، ومارسوها ممارسة صحيحة، وذلك أن بداية التراجع الحضاري الذي يعيشه المسلمون اليوم كانت هي ترك الدعوة إلى الله والتخلي عن واجباتها، كما أن الإمساك بزمام التقدم والرقى الحضاري هو فقه الدعوة إلى الله وممارستها على كل مستوى من مستوياتها وفي كل مرحلة من مراحلها، مع التأسى بما كان عليه الدعاة الأصلاء وهم الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم خاتم النبيين محمد ﷺ<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) فقه الدعوة إلى الله... علي عبدالحليم محمود، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، دار الوفاء، المنصورة.

(٣) تربية الناشئ المسلم... علي عبدالحليم محمود، ٤٥٠.

وفي مواجهة المشكلات الاجتماعية المعاصرة والحديثة التي تفتت في مجتمعاتنا الإسلامية يبقى الوعظ والإرشاد بأسلوب الدعوة قاصراً ومحدوداً في تلك المواجهة ، فلا بد أن تتكامل الجهود الدعوية والتربوية الإسلامية كافة في ذلك التصدي لهذه المشكلات .

والتربية الإسلامية عمل أخص من الدعوة الإسلامية ، وإن من المرين أكثر خبرة بالتربية من الدعوة ؛ لأن الدعوة ربما يقف عملهم عند حدود نقل الناس من الضلال إلى الهدى ، وأما المرين فعملهم مستمر لا يتوقف حتى يصلوا بالناس إلى أن يكونوا دعاة إلى الله .

والعمل الإسلامي في كل مكان يعيش فيه مسلمون بحاجة مستمرة إلى الدعوة وإلى المرين ، بل في حاجة إلى أن يستمر كل منهم في عمله ، وإلى التنسيق بينهم فيما يعملون .

إننا ما لم نربِ الناشئين والشباب بل الرجال والنساء على المفاهيم الصحيحة للدعوة إلى الله والممارسة الجادة لها ، وما لم ندرّب المرين على التربية الإسلامية الشاملة التي تستهدف تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة ، ما لم نفعل ذلك ، فإن المسلمين سوف يظلون يعيشون مرحلة التبعية للثقافة الغربية والقيم الغربية ، بل التبعية للغرب في السياسة والاقتصاد والتسلح ونظم الحياة كلها .

### أسلوب الإصلاح:

خلق الله الإنسان ليستخلفه سبحانه وتعالى في الأرض ، يعمرها وينتشر فيها ، وليسبح بحمده خالقه وقد مهد له كل سبل الرشاد ، كما جاء في الذكر الحكيم . . . : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ،

قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴿١﴾ وقد ورد ذكر الخلق في موضع آخر يقول المولى :  
﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم \* ثم رددناه أسفل سافلين \* إلا الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ ﴿٢﴾ وحدث المولى تعالى عن طبيعة  
النفس الإنسانية وما بها من مقومات للصالح والفجور فقال : ﴿ونفس وما  
سواها \* فآلهمها فجورها وتقواها \* قد أفلح من زكاها \* وقد خاب من  
دساها﴾ ﴿٣﴾ .

إن المولى سبحانه وتعالى وهو الخالق العظيم ما خلق السموات والأرض وما  
بينهما إلا بالحق وحاشاه أن يكون من اللاعبيين ، وقد خلق المولى العظيم الإنسان  
وعلم أن به ضعفاً ووهناً ، ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ ﴿٤﴾ ثم أنه تعالى يعلم ما  
يتنازع الإنسان من شر وخير، وحق وباطل ، وإنما جعل ذلك له إختباراً  
وامتحاناً عصبياً له في الدنيا وليجزيه بذلك الجزء الأوفى ، يقول سبحانه : ﴿ولقد  
خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ﴿٥﴾ .

فالدنيا دار بلاء وعناء ، وما فيها من استقرار أو خلود، إنما هي دار وسوق  
عظيم يربح فيه من حسن عمله ويخسر فيه من ساء عمله فيخسر الدنيا  
والآخرة ، يقول الرسول الكريم : «حفت الجنة بالملكاه ، وحفت النار  
بالشهوات» ﴿٦﴾ .

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) سورة التين : ٤-٦ .

(٣) سورة الشمس : ٧-١٠ .

(٤) البلد : ٤ .

(٥) ق : ١٦ .

(٦) رواه مسلم وروى في البخاري بلفظ «حجبت» وهي بمعناها .

فإذا كان الأمر كذلك ، والفتنة واقعة بالإنسان لاحمالة ، فما السبيل للنجاة من ذلك الخضم المائج بالبلاء والمحن؟!

إن الإسلام وهو الدين العظيم ، كفل للبشرية النجاة والرفعة في الدنيا والآخرة؛ إذا فقهوه وطبقوا شريعته ، وأحلوا حلاله وحرّموا حرامه ؛ لأنه مُنزل من خالق الإنسان ، والصانع أدرى ما يكون بصنّعه فما بال الخالق بخلقه؟!

والمسلم في حياته دائم التفكير والصبر على محن الحياة ، قادر على مواجهة تلك المتغيرات بعقل وروح المؤمن الواعية ، فماذا عليه أن يفعل ، وما هي أسلحته في ذلك؟

لا ينسى المسلم الحق ، وهو يتعهد نفسه ، ويبنى كيانه الجسمي والعقلي ، أنه ليس مكوناً من جسم وعقل فحسب ، وإنما يدرك أن له قلباً يخفق ، وروحاً تهفو ، ونفساً تحس ، وأشواقاً علياً تدفعه إلى السمو والاستغراق في عالم العبادة ، والتطلع إلى ما عند الله من نعيم ، والخشية مما لديه من أنكال وجحيم .

ومن ثم كان لزاماً على المسلم أن يُعنى بروحه ، فيقبل على صقلها بالعبادة والمراقبة لله عز وجل آناء الليل وأطراف النهار ، بحيث يبقى يقظاً متنبهاً ، متقياً أحابيل الشيطان الماكرة ، ووسوساته المردية . فإذا مسّه طائف من الشيطان في لحظة من لحظات الضعف البشري ، هزّته الذكرى ، فارتدّ بصيراً متيقظاً تائباً مستغفراً: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾<sup>(١)</sup> .

ولهذا كان الرسول ﷺ يقول لأصحابه : «جددوا إيمانكم» قيل : يا رسول الله ، وكيف نجدد إيماننا؟ قال : «أكثرُوا من قول : لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup> .

(١) الأعراف : ٢٠١ .

(٢) رواه أحمد بسند جيد .

والمسلم يستعين على تقوية روحه وإصلاح نفسه بضروب من العبادة يقوم بها لله طائعاً مخبتاً قانتاً، كتلاوة القرآن في أناة وتدبر وخشوع، والذكر في إختبات وحضور قلب، والصلاة القويمة المستكملة شروط الصحة والخشوع وحضور الذهن، وغير ذلك من ألوان العبادة والرياضة الروحية، مدرّباً نفسه على القيام بهذه الطاعات، بحيث تصبح دنياه وعاداته وسجاياه التي لا فكاك له عنها ولا انفصام. وبذلك ترهق نفسه، ويرق شعوره، وتتيقظ حواسه، فإذا هو في غالب الأحيان يقظ، متنبه، مراقب لله في السر والعلانية، مستحضر خشية الله ومراقبته إياه في تعامله مع الناس، لا يجور، ولا يجيد عن الحق، ولا ينحرف عن جادة السبيل<sup>(١)</sup>.

هكذا رسم الإسلام طريق الإصلاح والإصلاح من منطلق أن الله سبحانه وتعالى كما جاء في الذكر الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> وكما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>. فعلى المسلم أن يجاهد نفسه ويصلح أمره وأمر من تولاهم من أهله وعشيرته وبذلك ينصلح حال المجتمع بأسره.

### أسلوب التغيير بالقوة:

يعد أسلوب القوة أحد الأساليب المنتهجة في تغيير الأوضاع الاجتماعية، والتي سادت في بعض المجتمعات كوسيلة للحوار أو فرض واقع معين على مجريات الحياة، بل إن هذا الأسلوب كان الأساس في بناء بعض القوى الاجتماعية والاقتصادية تعبيراً عن أيديولوجية فكرية معينة.

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ٥٣-٥٢.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) المدثر: ٣٨.

فإذا ضربنا بذلك المثل فلا أدل من ذلك مما نجده في المجتمع أو الدول الشيوعية والتي زال سلطانها وتلاشت أفكارها الآن، وبنظرة تاريخية نجد أنه تبعاً لفلسفتها «أن تاريخ المجتمع يعكس صورة صادقة للصراع بين طبقتين في بناء المجتمع، طبقة مالكة لكل شيء وطبقة ليس عندها أي شيء الأمر الذي ترتب عليه أنه كلما زاد عدد السكان وزاد العلم تقدماً وزاد التصنيع انتشاراً تقوم كثير من المصاعب والمعوقات أمام الملايين من العاملين، وكلما زاد الزمن زادت الطبقة المالكة طغياناً وزادت الطبقة العاملة بؤساً وانحرافاً. والصراع في رأي الماركسية لا بد له من حل، والحل يأتي عندما يصل السخط إلى نقطة الانفجار أو نقطة الانطلاق فتندلع الثورة ويحتل العمال المصانع يديرونها، ويقيمون حكماً يمثل مصالحهم ويبدأون في إقامة مجتمع جديد»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما قامت عليه أيديولوجية الثورة الماركسية، الصراع الطبقي، والتعبير بذلك عن السخط ومقاومة الظلم ومحاوله تغيير الواقع، وفي سبيل ذلك اعتمدت القوة والعنف الدموي للتغيير، وقد قدمت بذلك ملايين الضحايا من أفراد الشعب الروسي للقضاء على الظلم ولكن بظلم أشد.

وقد قامت دكتاتورية الطبقة العاملة على أنقاض دكتاتورية الطبقة الحاكمة وعلى رفات الفلاحين وبقية طبقات الشعب!!

### التغيير في الإسلام:

جاء الإسلام على فترة من الرسل، وقد كانت البشرية تعيش في غياهب الجهل وظلمات الشرك، كانت الحياة مليئة بصور شتى من مظاهر القهر والظلم والتردي في الخطيئة، وكانت المجتمعات ممزقة إلى قبائل وعصبيات جاهلية وقوميات وشعوبيات تناحر وتتطاحن فيما بينها، أسلوبها في ذلك الفر والكر والغزو والمداهمة!! . . .

(١) محمد عاطف غيث: المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، ١٩٨٧م: ٢٨٨.

طلع نور الإسلام وهو الدين الخاتم ليبدد ظلمات الشرك بنور التوحيد، ويحل الجور والظلم والبغي بالعدل والانصاف والإحسان. وقد انتهج الإسلام التغيير التدريجي لبناء المجتمع على قواعد وأسس جديدة، فحتى في حال الدعوة إلى التوحيد لم يكن ثورياً عنيفاً وإنما أمر المولى وتعالى بأن يكون سراً إلى أن يأذن الله لنبيه بالصدع بالرسالة.

وفي مجال إرساء قواعد العبادات والمعاملات جاء الإسلام بالأحكام تدريجياً؛ لأن الشارع الحكيم يعلم بطبيعة النفس البشرية، ويعلم أن النفس إذ ألفت شيئاً تعودت عليه، فجاءت الأحكام لتنظيم المعاملات على فترات متقاربة وبالتدريج، ومثال ذلك تحريم الخمر فقد جاء الذكر الحكيم بالنهي عن الصلاة في حال السكر كما قال المولى: ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾<sup>(١)</sup> ثم أتى بالمنع كلية بعد التمهيد لذلك فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي مواجهة مشكلات التغيير الاجتماعي الحديثة، ووفقاً للمنهج الإسلامي، يحرص الإسلام على التغيير لعادات وأنماط سلوكية كانت مبعثاً لعدد من المشكلات في بناء الأسرة والمجتمعات الإسلامية، فإذا ضربنا بذلك المثل فلا أدل على التهاون في الأعمال والتكاسل في طلب العلم والتحصيل، ذلك مبعثه ضعف دوافع العمل والتعلم في نفس الفرد، والإسلام حريص كل الحرص على سلامة البنيان العقلي والجسمي والنفسي للفرد المسلم بل حض على ذلك في مواضع كثيرة يقول المولى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾<sup>(٣)</sup>. إنها يحرص الإسلام على أن يكون المسلم قوياً قادراً على كسب

(١) سورة النساء الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠.

(٣) سورة الزمر الآية ٩.

قوته من عمله ، والمنطلق الإسلامي العظيم في المقاومة والتغيير هي القاعدة الإلهية في كتاب المولى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

على أن الإسلام لم ينفِ استعمال القوة كشكل من أشكال التغيير، ففي بعض المواقف ألزم ذلك كالضرب على يد الظالم وكفه عن ظلمه، وتغيير المنكر الظاهر ومقاومة انتشار الفاحشة في المجتمعات الإسلامية لكنه كفل بذلك التغيير بالقوة لأولى الأمر من الحكام والقائمين على تنفيذ شرعه سبحانه وتعالى .

### المنهج الوسط القائم على المزج بين أكثر من أسلوب والاعتماد المتبادل

بينهما:

عرضنا فيما سبق في إيجاز لبعض الأساليب المتبعة في مواجهة المشكلات الاجتماعية والقضاء عليها، ويتميز بعض تلك الأساليب بالهدوء ويتميز بعضها بالعنف تبعاً لمنهجها وطبيعة القضية التي هو بصدددها .

إن الإسلام حين عالج تلك القضايا كما أسلفنا عالجها بمنطق أن الإنسان وهو خليفة قد خلق من ضعف، وأنه بصدد الاختيار بين أحد طريقتين مصداقاً لقول المولى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالإنسان إذاً عليه إنتهاج أحد طريقتين: الخير أو الشر، وقد أبان المولى سبحانه أن الأمة المسلمة وهي خير أمة أخرجت للناس إنما تتبع الطريق الوسط في كل مسالك الحياة، فلا مغالاة ولا تقصير، ولا تشديد ولا تهاون مصداقاً لقول المولى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٣)</sup> فالوسطية هي الاعتدال والتوازن في كل أمور الحياة .

(١) سورة الرعد الآية ١١ .

(٢) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٣) البقرة : ١٤٣ .

والإسلام في جوهره دين صالح وشامل لكل زمان ومكان ، فالإسلام لا يقدم مبادئ وحلولاً جامدة ثابتة كما قامت على ذلك الحركات والايديولوجيات المضادة للإسلام كالرأسمالية الاحتكارية والشيوعية ، رغم أن تلك المبادئ بشكلها الاقتصادي والفلسفي الاجتماعي تسم الإسلام بالجمود والتخلف ؛ والباحث المنصف يرى أن تلك دعاوى زائفة سقطت بسقوط إمبراطوريات الشيوعية وعجزها عن تحقيق حتى مبادئها ذاتياً ، وكذلك يرى ما تحققه مزاعم الرأسمالية من اضطراب في الاقتصاد ومضاعفة لمشكلات العمل وشتى البطالة والتباعد الاقتصادي في المستويات فضلاً عن التنافر الاجتماعي إلى حد التفكك والضياع .

إذاً فالإسلام يرى لكل قضية ومشكلة حلاً خاصاً مرناً تبعاً للوقت والمكان الخاص به ، والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة ومنها أن الإسلام أباح التملك والتجارة بحدود الحلال والحرام بما لا يكون فيه غبن أو غش أو احتكار للناس ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾<sup>(١)</sup> ، فلم يقيد الإسلام البيع والشراء والتجارة بنظام الاحتكار كما في الرأسمالية ، ولم يجعله حكراً على ذوي النفوذ والحكم كما في حقيقة الشيوعية ، بل جعله تبعاً لمصالح الفرد وتكامل المجتمع .

---

(١) سورة البقرة ٢٧٥ .